عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه ، ومن يضلل فلا هـادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنه الرجل الذي إذا جاءت سيرته وجدنا بين ثنايا سطورها ريح الحياء والتواضع والجود والكرم والخشية... ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وكان ربعة حسن الوجه رقيق البشرة عظيم اللحية بعيد ما بين المنكبين[1].

لما قالوا (لعلي): حدثنا عن عثمان. قال: ذاك امرؤ يدعى في الملأ الأعلى ذا النورين.

كان رضي الله عنه في أيام الجاهلية من أفضل الناس في قومه فهو عريض الجاه ثريًا

---

(١) «الإصابة» للحافظ ابن حجر (٤/ ٣٧٧).

متواضعًا شديد الحياء عذب الكلمات فكان قومه يحبونه أشد الحب ويوقرونه.

لم يسجد في الجاهلية لصنم قط ولم يقترف فاحشة قط ولم يظلم إنسانًا قط.

وكان كغيره من أهل المروءة في أشد الشوق ليد حانية تأخذ بنواصي العباد من تلك الجاهلية التي عمت البلاد إلى شاطئ النجاة.

وما هي إلا فترة يسيرة حتى بعث الحبيب ﷺ وكان عثمان رضي الله عنه من السابقين الذين أسلموا قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم.

ولإسلام عثمان قصة ما زال يرويها الرواة.

ذلك أنه حين بلغه في الجاهلية أن محمد بن عبد الله زوج ابنته رقية من ابن عمها عتبة بن أبي لهب، ندم أشد الندم لأنه لم يسبق إليها، ولم يحظ بخلقها الرفيع وبيتها العريق، فدخل على أهله مهمومًا.

فوجد عندهم خالته (سعدي بنت كريز) وكانت هذه امرأة حازمة، عاقلة، طاعنة في السن - طاعنة في السن: متقدمة في السن - فسرت عنه[1].

وبشرته بظهور نبي يبطل عبادة الأوثان، ويدعو إلى عبادة الواحد الديان، ورغبته في دين ذلك النبي وبشرته بأنه سينال عنده ما يبتغيه.

قال عثمان: فانطلقت وأنا أفكر فيما قالته خالتي، فلقيت أبا بكر، وحدثته بما أخبرتني به، فقال: والله لقد صدقت خالتك، فيما أخبرتك، وبشرتك بالخير يا عثمان، وإنك لرجل عاقل حازم ما يخفى عليك الحق، ولا يشتبه عندك مع الباطل.. ثم قال لي: ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟!.. أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر؟. فقلت: بلى. فقال: وإن ما قالته خالتك - يا عثمان - قد تحقق، فلقد أرسل الله رسوله المرتقب، وبعثه إلى الناس كافة بدين الهدى والحق. فقلت: ومن هو؟! فقال: إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. فقال: الصادق الأمين؟ فقال أبو

(١) سرت عنه: كشفت عنه الهم.

بكر: نعم، إنه هو. فقلت: فهل لك أن تصحبني إليه؟ فقال: نعم، ومضينا إلى النبي ﷺ. فلما رآني قال: أجب يا عثمان داعي الله، فإني رسول الله إليكم خاصة، وإلى خلق الله عامة.

ثم شهدت أن لا إله إلا الله. وأن محمدًا عبده ورسوله.

لم يؤمن بالرسول - عليه الصلاة والسلام - أحد من قومه بني (هاشم) حتى ذلك اليوم، غير أنه لم يكن فيهم أحد يناصبه العداء غير عمه (أبي لهب).

فقد كان هو وزوجه (أم جميل) من أشد قريش قسوة عليه وأعنفهم إيذاءً له، وتنكيلًا به، فأنزل الله فيه وفي امرأته: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[المَسَد: ١:٥]

فازداد أبو لهب ضغينة على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، واشتد حقده وحقد زوجته أم جميل عليه، وعلى المسلمين معه، فأمرا ابنهما (عتبة) بأن يطلق زوجته رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام فطلقها نكاية[1] بأبيها.

ما كاد عثمان بن عفان - رضوان الله عليه - يسمع بخبر طلاق رقية حتى استطار فرحًا، وبادر فخطبها من رسول الله ﷺ فزوجها الرسول الكريم ﷺ منه.

وزفتها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعة، وكانت هي تضاهيه قسامة وصباحة، أي تشبهه في حسن تقاسيم الوجه وملامحه، فكان يقال لها حين زفت إليه: أحسن زوجين رآهما إنسان رقية، وزوجها عثمان[2].

وعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي: أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان: فقال: «يا بنية أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خلقًا»[3].

---

(١) نكاية: إغاظة له وقهرا.

(٢) «صورة من حياة الصحابة» بتصرف (ص ٥٥٨ - ٥٦١).

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات «المجمع» (١٤٥٠٠).

عباد الله: وعلى الرغم من مكانة عثمان بن عفان رضي الله عنه بين قومه ومحبتهم له إلَّا أنه ما إنْ أعلن إسلامه واستعلى بإيمانه حتى سلطوا عليه الأذى فلما يئسوا من عودته إلى الشكر وارتداده عن دين محمد ﷺ أطلقوا سراحه فهاجر إلى الحبشة ومعه زوجه (رقية) رضي الله عنها وهناك اشتد الحنين إلى رسول الله ﷺ فعاد عثمان وزوجه رضي الله عنهما مرة أخرى إلى الحبيب ﷺ إلى أن أذن الله لنبيه ﷺ وأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، فكان عثمان وزوجه مع المهاجرين. وبذلك يكون رضي الله عنه قد هاجر الهجرتين.

أما جهاده في سبيل الله وتسميته بذي النورين فلقد شهد عثمان رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا غزوة بدر فإن النبي ﷺ لما خرج إلى بدر خلفه على ابنته رقية يمرضها - فقد كانت مريضة ولم يكن معها أحد - ولما عاد الحبيب ﷺ من الغزوة علم أن ابنته رقية قد لحقت بجوار ربها فحزن حزنًا شديدًا، وواسى عثمان رضي الله عنه فضرب له بسهمه وأجره، فكان كمن شهد بدرًا، ثم زوجه من ابنته الثانية (أم كلثوم) وقال: «لو كان عندي ثالثة لزوجتها عثمان». وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ[1].

قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، ولذلك سمي ذا النورين. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن.

أما موقفه الخالد في تجهيز جيش العسرة (غزوة تبوك) فقد جاءت هذه الغزوة، والناس في عسرة شديدة، وحين طابت الثمار وأحبت الظلال، والناس يحبون المقام ويكرهون الخروج.

وحض رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة، وكان أبو بكر رضي الله عنه أول من حمل بماله كله، أربعة آلاف درهم.

فقال رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئا؟» فقال: الله ورسوله، ثم جاء

---

(١) «صفة الصفوة» (١/ ١١٩).

عمر بن بنصف ماله، وحمل العباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله ﷺ إلى النبي ﷺ مالًا، وحمل عبد الرحمن بن عوف إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عبادة ﷺ إليه مالًا، وكذلك محمد بن مسلمة ﷺ وتصدق عاصم بن عدي ﷺ بتسعين وسقا من التمر، والنساء يُعِنَّ بكل ما قدرن عليه. قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والذل والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

ما زال حديثنا حول تجهيز جيش العسرة في غزوة (تبوك) قالت أم سنان الأسدية ﷺ لقد رأيت ثوبًا مبسوطًا بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة ﷺ فيه مَسَك - أي أسور- وخلاخيل، ومعاضد وخلاخل - وهي كالأسورة في اليد- وأقرطة - وهي ما تعلق في شحمة الأذن- وخواتيم، وقد ملي، مما بعث به النساء يُعِن به المسلمين في جهازهم».

ولله در أبي عقيل يأتي بصاع من تمر ويستحي، قال: بت ليلتي أجر بالجرير - يعني يستقي الماء بالحبل- على صاعين، والله! ما كان عندي من شيء غيره، فأتيت بأحدهما، وتركت الآخر لأهلي.

وعن عكرمة ﷺ قال: حث رسول الله ﷺ على الصدقة أي في غزوة تبوك، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال يا رسول الله: مالي ثمانية آلاف، جئتك بنصفها، وأمسكت نصفها، فقال: «بارك الله فيما أمسكت وفيما أعطيت».

أما الحديث عن العُسرة وعثمانها المعطاء، فقد روى عبد الرحمن بن سمرة ﷺ

أن عثمان بن عفان جاء إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»(١).

ولما حُصرَ في داره قام فأشرف عليهم فوق داره، قال: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: «من ينفق نفقة متقبلة» والناس مجهدون، معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...»(٢)

وما جاء في رواية الأحنف بن قيس من قول عثمان: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: «من يجهز هؤلاء غفر الله له» يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالًا ولا خطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد»(٣)

ما كاد عثمان يسمع نداء رسول الله ﷺ: «من يجهز هؤلاء، ويغفر الله له؟» حتى سارع إلى مغفرة من الله ورضوان.وهكذا وجدت العسرة الضاغطة عثمانها المعطاء!!

وقام رضي الله عنه بتجهيز الجيش كله حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام أو عقال...!!

يقول ابن شهاب الزهري: قدم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيرًا، وستين فرسًا أتم بها الألف!!

ويقول حذيفة: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ، في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبها بين يديه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها بيده، ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة».

ويقول عبد الرحمن بن عوف: شهدت رسول ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب.

---

(١) أخرجه الترمذي، وأحمد، وابن أبي عاصم في «السنة».
(٢) جزء من حديث صحيح لغيره: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»، وابن عساكر في «تاريخه».
(٣) جزء من خبر حسن لغيره: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٨٦)، وابن حبان (٦٨٨١).

ألم أقل لكم: إنه يبدو وكأنه الممول الوحيد للأمة الجديدة، والدين الجديد؟؟[١]

ولما كفى الله المؤمنين القتال برجوع الروم، ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمده به عثمان، ما استرجع عثمان من ذلك شيئا، وما استرد منها بعيرًا ولا خطامًا.

رضي الله عن عثمان المهاجر إلى ربه الذي يخرج من ماله ومن دنياه العريضة كلها، ويسافر إلى الله في حياء رجل تستحي منه الملائكة. «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، ترى كم أظل عثمان من رءوس رجال، وكم له عند الله من ظل بل ظلال ظليلة.

قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقات ظل فسطاط - خيمة - في سبيل الله عز وجل، أو منحة خادم في سبيل الله، أو طروقة فحل في سبيل الله**»[٢].

ومما بذله عثمان رضي الله عنه في سبيل الله حفر بئر رومة، فلما كان المسلمون لا يجدون الماء العذب الذي هم في أشد الحاجة إليه، قام النبي ﷺ يعرض على أصحابه تلك الصفقة الرابحة، فقال: «من حفر رومة فله الجنة...»[٣]

قال الحافظ: ولعل العين كانت تجري إلى بئر، فوسعها وطواها، فنسب حفرها إليه[٤]

فقام عثمان رضي الله عنه السَّبَّاق إلى كل خير فحفرها، ففاز بثواب كل من شرب شربة ماء أو توضأ من هذا الماء.

عباد الله: وما كان البذل الذي يبذله عثمان رضي الله عنه ليقف أبدًا عند تجهيز جيش العسرة أو حفر بئر رومة، بل لقد كان دومًا وأبدًا مواسيًا لكل مسلم في كربته ومعينه في محنته، ومعينًا له في فقره وحاجته.

---

(١) «خلفاء الرسول ﷺ خالد محمد خالد» (٢٤١) دار الجيل.

(٢) رواه أحمد، والترمذي عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٩). «ترطيب الأفواه» د/ سيد حسين (١٨٨ - ١٩١) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) معلقًا، وهو صحيح لشواهده.

(٤) «الفتح» (٥/ ٤٠٨).

يمضي - رضي الله عنه - مع نفسه موثقًا لا يخلفه طوال حياته: هو أن يعتق كل جمعة عبدًا، ويحرر رقبة، يشتري العبد من سيده بأي ثمن، ثم يهبه حريته مبتغيًا وجه ربه الأعلى[١].

وها هي البشرى بالشهادة وبالجنة يزفها إليه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»[٢]

وعن أبي موسى رضي الله عنه: قال: إن النبي ﷺ دخل حائطًا وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال له: «ائذن له وبشره بالجنة» فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه» فإذا عثمان ابن عفان[٣].

عباد الله: ها هو عثمان رضي الله عنه استحيا من الله، فاستحيت منه الملائكة والنبي ﷺ، ويا لها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك، فقال: «ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة»[٤].

(١) «مسلم بشرح النووي»(١٦/ ٣٤).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٥)، ومسلم (٢٤٠٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٠١) عن عائشة.

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، واجعلنا مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم وحد صفوف المسلمين واجمع كلمتهم وكن لهم عونا ومددًا يا جواد يا كريم، اللهم عليك بالصليبيين وسائر المشركين اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم واجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، وأقم الصلاة.

obeikandl.com

عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله : حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه .

عباد الله: ما زال الكلام يدور حول حياء عثمان رضي الله عنه .

قالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان، قال رسول الله ﷺ: «**إن عثمان رجلٌ حييٌّ، وإني خشيتُ إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته**»- أي يستحي فيخرج من غير أن يطلب حاجته

التي جاء من أجلها[١]

قال عثمان ﷺ: ما من عامل يعمل عملًا إلا كساه الله رداء عمله.

وقال يحيى بن معاذ: من استحيى من الله مطيعًا استحى الله منه وهو مذنب.

قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره، مع نقص يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فعلت رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن من أحب الله أحب أولياءه، ومن خاف الله خاف منه كل شيء[٢]. والجزاء من جنس العمل.

وقال ﷺ: «عثمان أحيى أمتي»[٣].

يعني أكثرها حياءً، والحياء منشأ الآداب، قيل: لم يمض يمينه على فرجه منذ بايع النبي ﷺ.

فلا والله ما في العيش خيرٌ ∴ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخيرٍ ∴ ويبقى العود ما بقي اللحاء

عباد الله: ومن فضائل عثمان ﷺ أنه يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة.

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي - رحمه الله -: قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه، فبينما أنا قائم أصلي إذ وضع رجل يديه على ظهري، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان - ﷺ - وهو خليفة فتنحيت عنه، فقام فما برح قائمًا حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٠٠).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٣٠٢).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٧٢).

فلما انصرفت قلت: يا أمير المؤمنين، إنما صليت ركعة؟.

قال: أجل هي وتري، أي ركعة الوتر[١].

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه، وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة[٢].

قال الحافظ ابن كثير: وقد روي من غير وجه، أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا دأبه رضي الله عنه ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزُّمَر:٩].

قال: هو عثمان بن عفان.

وقال فيه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ضَحَّوا بأشمطَ عُنوانُ السُّجود به ... يُقطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقُرآنا

قال النووي في «التبيان» (٥٥): فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة: عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي وآخرون.

وكان رضي الله عنه لا يوقظ أحدًا من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه، إلا أن يجده يقظانًا، وكان يصوم الدهر، وكان يعاتب، فيقال: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا! الليل لهم يستريحون فيه[٣].

وعن الحسن، قال: قال عثمان: لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني

(١) صحيح أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٢٧٦).
(٢) «الزهد» (ص١٢٧) لأحمد بن حنبل.
(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٣٠٧)

لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف» وما مات عثمان حتى خُرِقَ مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه[١].

عباد الله: ومن مناقب عثمان رضي الله عنه التجارة الرابحة مع الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قحط الناس في زمان أبي بكر، فقال الخليفة لهم: إن شاء الله لا تمسون غدًا حتى يأتكم فرج الله، فلما كان صباح الغد، قدمت قافلة لعثمان، فغدا عليه التجار، فخرج إليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقه، وسألوه أن يبيعهم قافلته ، فسألهم كم تربحوني قالوا: العشرة اثنى عشر، قال: قد زادني، قالوا: فالعشرة خمسة عشر، قال: قد زادني، قالوا: من الذي زادك، ونحن تجار المدينة قال: إنه الله، زادني بكل درهم عشرًا، فهل لديكم أنتم مزيد؟ فانصرف التجار عنه، وهو ينادي: اللهم إني وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن، وبلا حساب[٢].

أما خلافته الراشدة فإنه لما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان رضوان الله عليه، فتح الله على يديه أرمينية والقوقاز، ونصر المسلمين وسودهم على خراسان وكرمان وسجستان، وقبرص وطرف غير قليل من أفريقية.

ولقي الناس في عهده من الثراء ما لم يحظ به شعب على ظهر الأرض.

حدث الحسن البصري -رحمه الله- عما نعم به الناس في عهد ذي النورين من الرخاء ورفاهية العيش وما غمروا به من الهناءة والطمأنينة، وقال: رأيت منادي عثمان بن عفان رضي الله عنه ينادي قائلًا: أيها الناس اغدوا على أعطياتكم[٣]، فكان الناس يغدون عليها، ويأخذونها وافيةً .

أيها الناس أقبلوا على أرزاقكم. فكانوا يقبلون عليها، فيعطونها غزيرة وفيرة. ولقد سَمِعَتْهُ - والله - أُذُنَاي وهو يقول: اغدوا على كسوتكم. فكانوا يأخذون

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٠٧) وقتل رضي الله عنه والمصحف في حجره.

(٢) «خلفاء الرسول» لخالد محمد خالد (ص٢٤٦).

(٣) اغدوا على أعطياتكم: أي هلموا إلى العطايا التي تستحقونها.

الحلل السابغة[١]، وكان يقول: هلموا على السمن والعسل أيضًا.

ولا غدو فقد كانت الأرزاق في عهد عثمان رضي الله عنه دارة[٢]، وكان الخير كثيرًا. وذات البين سعيدة[٣]، ولم يكن على ظهر الأرض مؤمن يخاف مؤمنا، وإنما كان المسلم يألف المسلم، ويواده، وينصره[٤].

وفي عهد عثمان رضي الله عنه جمع القرآن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة على عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق[٥].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) الحلل السابغة: الحلل الطويلة الواسعة

(٢) دارة: أي مستمرة

(٣) ذات البين: الأحوال بين الناس

(٤) «صور من حياة الصحابة» (ص ٥٦٨: ٥٦٩).

(٥) أخرجه البخاري (٤٩٨٧).

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

ومن مناقب عثمان ﷺ كثرة بكائه خوفًا من الله جل وعلا - فكان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»(١).

وعن عبد الله بن الرومي، قال: بلغني أن عثمان ﷺ قال: لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وأما عدل عثمان ﷺ فها هي صفحة ناصعة البياض من عدله ﷺ.

عثمان الرحيم الذي تشع الرحمة في حياته، وتكون نبراسًا لكل تصرفاته، يغضب على خادم له يومًا، فيفرك أذنه حتى يوجعه، ثم سرعان ما يدعو خادمه ويأمره أن يقتص منه، فيفرك أذنه، ويأبى الخادم، ويأمره في حزم فيطيع، اشدد يا غلام، فإن قصاص الدنيا أرحم من قصاص الآخرة.

ومن عظام الأعمال وكبارها في خلافته ظهور حدود الله تعالى.

فهذا الوليد بن عقبة من أقرب الناس إليه، إنه أخوه لأمه، ومع ذلك لم تأخذه شفقة عليه ولا رحمة.

---

(١) رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٦١).

قال الحافظ في «الفتح» (٥٦/٧): إنما أخر إقامة الحد عليه ليكشف عن حال من شهد عليه بذلك، فلما وضح له الأمر أمر بإقامة الحد عليه.

قال حنين بن المنذر: شهدت عثمان بن عفان، وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم؟

فشهد عليه رجلان؟ أحدهما حمران، أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حارَّها من تولى قَارَّها [1].

فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر، قم فاجلده، فجلده - عليّ يعد- حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وهذا أحب إليّ وفي رواية: وكُلٌّ سُنَّة.

عباد الله: عجبًا ثم عجبًا لمن ينقمون على ذي النورين رضي الله عنه!، هل ينقمون على عدله، أم على جوده، أم على رحمته، أم على إيمانه أم على أنه من العشرة المبشرين بالجنة؟!

قال الحسن البصري رحمه الله: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، فلما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيرًا، فيقال لهم: يا معشر المسلمين، اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل.

الأعطيات جارية، والأرزاق دائرة، والعدو منفي، وذات البين حسن، والخير كثير، وما مؤمن يخاف مؤمنًا، من لقيه فهو أخوه من كان، أُلْفَتُهُ، ونصيحته، ومودته، قد عُهِدَ إليهم أنها ستكون أثْرة، فإذا كانت أن تصبروا، ولو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، قالوا: لا والله ما نصابرها فو الله ما رُدُّوا ولا سلموا.

---

(١) أي ولِّ العقوبة الضرب من توليه العمل والنفع.

والأخرى كان السيف مغمدًا على أهل الإسلام، ما على الأرض مؤمن يخاف أن يسل مؤمن عليه سيفًا حتى سَلَّوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولًا إلى يوم الناس هذا.

وأيم الله، إني لأراه سيفا مسلولًا إلى يوم القيامة [١].

يقول عروة بن الزبير رحمه الله: أدركت زمن عثمان رضي الله عنه وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق [٢].

ومن شمائل عثمان رضي الله عنه: لين جانبه، ورأفة قلبه، وإحسانه إلى الرعية، ولينه معهم، وخروج أهل الزور والبهتان عليه، وقتله مظلومًا.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عبتم على عثمان أشياء، لو أن عمر فعلها ما عبتموها [٣].

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: عمل أمير المؤمنين عثمان ثنتي عشرة سنة لا ينكرون من أمارته شيئًا، حتى جاء فَسَقَة فداهن والله في أمره أهل المدينة [٤].

ومن المواقف التي تبدو فيها شفقته بالرعية جليًا، ما رواه موسى بن طلحة يقول: سمعت عثمان بن عفان، وهو على المنبر، والمؤذن يقيم الصلاة، وهو يستخبر الناس عن أخبارهم وأسعارهم، وعن مرضاهم» [٥].

هذا عثمان فأين مثل عثمان رضي الله عنه ؟!.

ولله در القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

---

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن عساكر، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٩٤): إسناده حسن.
(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبة.
(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه».
(٤) إسناده صحيح: أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير».
(٥) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده».

عباد الله: ونستعرض جملة من الافتراءات والرد عليها، ومن ذلك قولهم: أنه -أي عثمان - لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان مع ظهور القصاص ووجوبه:

والجواب: أن عثمان رضي الله عنه دفع ديته من ماله بعد أن شاور الصحابة؛ لأنه ولي دم القتيل الذي لم يكن له ولي، وفقا لقاعدة: السلطان ولي من لا ولي له[1].

ولقد رد ابن العربي ردًّا شافيًا وكافيًا في «العواصم من القواصم»: أما تلك القصة سندًا ومتنًا. ففيها اضطراب، وفي الرواية الصحيحة: أن عثمان رضي الله عنه تشاور مع المهاجرين والأنصار، ولم يقتل مسلمًا بكافر، وأعطى الدية بدلًا من ذلك فأي مخالفة في ذلك؟[2].

ومما قاله المفترون: إن عثمان رضي الله عنه ولى أقاربه - يعني الولاية، وممن ولاهم بزعمهم: معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان، والوليد بن عقبة، وأعطى مروان خمس إفريقية.

قال ابن العربي رحمه الله: هذا كله باطل سندًا ومتنًا، فأما معاوية: «فعمر» ولاه، وجمع له الشام كلها، وأقره عثمان، وأما عبد الله بن كريز، فولاه كما قال: لأنه كريم العمات والخالات.

وأما تولية الوليد بن عقبة، فقد قال عثمان: ما وليته لأنه أخي، وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم عمة النبي ﷺ وتوأمة أبيه.

والولاية اجتهاد، فقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص، وقدم أقل منه درجة.

ومروان رجل عدل من كبار الأئمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، والفقهاء على تعظيمه، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته، أما السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم.

---

(١) «تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) «العواصم من القواصم» لابن العربي (ص٧٧، ١١٦).

وأما الوليد وحدُّه في الخمر، فقد حدَّ عمر قدامة بن مظعون على الخمر، وهو أمير وعزله، وليست الذنوب مسقطة للعدالة إذا وقعت منه التوبة.

وأما إعطاؤه خُمس إفريقية لواحد فلم يصح.

وأما توليته لعبد الله بن أبي سرح، وهو الذي ارتد بعد إسلامه، فلقد تاب وعاد وحسن إسلامه، وجاهد جهاد الأبرار، ومات بين التسليمتين ومعلوم أن الذنوب ليست مسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة هذا وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له تمكينًا في الأرض. وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

عثمان بن عفان رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثالثة عن الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه وما زال حديثنا حول بعض الافتراءات والرد عليها للذب عن شخصه رضي الله عنه.

وأما قولهم بأنه أخرج أبا ذر إلى الربذة: فهذا ظلم عظيم، ومنكر أثيم.. فعثمان رضي الله عنه أعدل وأفضل من أن يفعل بالأفاضل من الصحابة مالا يستحقون، أو ينالهم بمكروه، وإنما كان هذا من عثمان تخييراً لأبي ذر، والدليل على ذلك ما رواه زيد ابن وهب، قال: "مررت بالربذة، فقلت لأبي ذر س: ما أنزلك هذا المنزل؟ فقال: أخبرك، أني كنت بالشام فتذاكرت أنا ومعاوية هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

﴿ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤]، فقال معاوية ﷺ: هذه نزلت في أهل الكتاب، وقلت أنا: هي فيهم وفينا، فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك فكتب إليّ: أن أقدم عليّ، فقدمت عليه فانثال عليّ الناس كأنهم لم يعرفوني، فشكوت ذلك إلى عثمان ﷺ، فخيرني، فقال: انزل حيث شئت[1].

وقال عبد الله بن الصامت: دخلت على أبي ذر في رهط من غفار على عثمان بن عفان من الباب الذي لا يدخل عليه منه، قال: وتخوفنا عثمان عليه، فانتهى إليه، فسلم عليه، قال: ثم ما بدأه بشيء إلا أن قال: أحبستني منهم يا أمير المؤمنين؟! والله ما أنا منهم - يعني الخوارج - ولا أدركهم، ولو أمرتني أن أعض على عرقوبي قتب لعضضت عليهما حتى يأتيني الموت وأنا عاض عليهما.

قال: صدقت يا أبا ذر، إنا إنما أرسلنا إليك لخير، لتجاورنا بالمدينة.

قال: لا حاجة لي في ذلك، ثم استأذنه في الربذة، فقال: ائذن لي في الربذة.

قال: نعم نأذن لك، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليها وتروح فتصيب من رسلها. يعني اللبن.

قال: لا حاجة لنا في ذلك، يكفي أبا ذر صرمته[2] ثم خرج فنادى: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعدموها لا حاجة لنا فيها، ودعونا ودِيننا[3].

قال غالب القطان: قلت للحسن البصري: أعثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله[4].

وكان محمد بن سيرين - رحمه الله- إذا ذُكِر له أن عثمان بن عفان سَيَّرَهُ أخذه أمر

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو نعيم «١٣٩».

(٢) الصرمته: القطعة من الإبل.

(٣) صحيح أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٤/ ٢٣٢).

(٤) إسناده حسن: رواه الذهبي في «تاريخ الإسلام» وابن شيبة (٣/ ١٠٣٧).

عظيم، ويقول: هو خرج من قِبَل نفسه، ولم يُسَيِّره عثمان رضي الله عنه [١]

وأما قولهم بأنه حرق المصاحف:

فالجواب: قال عليّ بن أبي طالب: فوالله ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ، جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها، يلقى الرجل الرجل، فيقول: قراءتي خير من قراءتك وهذا يجر إلى الكفر، فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً، فقلنا: نعم ما رأيت [٢].

وأما قولهم بأنه رد طريد رسول الله ﷺ: الحكم بن العاص.

فالجواب عن ذلك بأن الإمام ابن تيمية - رحمه الله - قال: لم تثبت من الأصل وليس لها إسناد.

ومن تلك المطاعن الواهية: أنه أمر بالعطاء من مال الصدقة، وأن الناس أنكروه.

وللرد على ذلك يقول أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله -: عثمان رضي الله عنه أعلم ممن أنكر عليه، وللأئمة إذا رأوا المصلحة للرعية في شيء أن يفعلوه ولا تجعل إنكار من جهل المصلحة حجة على من عرفها، ولا يخلو زمان من قوم يجهلون وينكرون الحق من حيث لا يعرفون.

ولا يلزم عثمان فيما أمر به إنكار من أنكر لما رأى من المصلحة، فقد فرق رسول الله ﷺ غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم يوم الجعرانة، وترك الأنصار لما رأى المصلحة حتى قال قائلهم: تقسم غنائمنا في الناس وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!

فكان الذي دعاهم إلى الإنكار على فعل رسول الله ﷺ قلة معرفتهم بما رأى من المصلحة فيما قسم، وكان أعظم من إنكار من أنكر على عثمان رضي الله عنه لأن مال المؤلفة

---

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي شيبه (٣/ ١٠٣٧).

(٢) «منهاج السُّنَّة» (٦/ ٢٥٢ - ٢٥٣).

من الغنيمة، فلا يلزم عثمان رضي الله عنه من إنكار من أنكر عليه شيئا إلا ما لزم رسول الله ﷺ حين رأى المصلحة فيما فعل اقتداء بنبيه ﷺ[١].

أما الطعن على عثمان رضي الله عنه بأنه ضرب عماراً حتى فتق أمعاءه! فقال أبو نعيم في «تثبيت الإمامة»: هذا غير ثابت عنه، وقال ابن العربي: وأما ضربه عمارًا فزور، وإفك. ودعوى ضربه ابن مسعود، وكسر أضلاعه، ومنعه عطاءه سنتين! كل هذا باطل وزور ولا أصل له[٢].

بل لقد قال الإمام ابن تيمية: فإن قيل: إن عثمان قد ضرب ابن مسعود وعمارًا، فهذا لا يقدح في واحد منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة في الجنة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، ولقد ضرب عمر، أبيّ بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه، وقال: ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع[٣].

عباد الله: وها هو ابن عمر رضي الله عنهما يدافع عن عثمان رضي الله عنه فقد جاء رجل من أهل مصر وحج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه. هل تعلم أن عثمان فَرَّ يوم أحد؟، قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال الرجل: هل تعلم أنه تغيَّب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: تعال أبين لك. أما فراره يوم أُحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحت بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه**»، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله

---

(١) «تثبيت الإمامة» لأبي نعيم (ص:١٤٩).
(٢) «تثبيت الإمامة» لأبي نعيم (١٥١ - ١٥٢).
(٣) «منهاج السنة» (٣/ ١٩٢) نقلًا من «ترطيب الأفواه» (١٤١: ١٤٧) بتصرف.

ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ: «**هذه يد عثمان**» فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمان**»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

عباد الله: وها هو عتاب يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع وقت الحصار.

عن أبي أمامة بن سهل قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، وكان في الدار مدخل من دخله سمع كلام من على البلاط، فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغير لونه، فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفًا، قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين قال: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلًا منذ هداني الله، ولا قتلت نفساً، فبمَ يقتلونني**»[2].

وعن أبي عبد الرحمن، أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة البئر فله الجنة» فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال[3].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري عن عثمان - ابن موهب - (٣٦٩٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٥٠٢)، وأحمد (١/ ٦١ - ٦٢) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) معلقًا، وهو صحيح لشواهده.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لقتلة الأنبياء والشهداء من أتباع النبيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد:

عباد الله: لما اشتد حصار الثُّوار لدار عثمان رضي الله عنه قال للصحابة الذين تجمعوا حول داره ليواجهوا الثوار بالسلاح: « إن أعظمكم عني غَنَاءً ، رجل كف يده وسلاحه!! » .

ويقول لأبي هريرة رضي الله عنه وقد جاء شاهرًا سلاحه، مدافعًا عنه: أما إنك والله لو قتلت رجلًا واحدًا، لكأنما قتلت الناس جميعًا.

ويقول للحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير، وشباب الصحابة الذين أخذوا مكانهم لحراسته: أناشدكم الله وأسألكم به، ألا تُراق بسببي محجمة دم.

قال ابن عمر رضي الله عنهما : جاء علي إلى عثمان يوم الدار، وقد أغلق الباب ومعه الحسن ابن عليّ وعليه سلاحه، فقال للحسن: ادخل إلى أمير المؤمنين، وأقرئه السلام، وقل له: إنما جئت لنصرتك، فمرني بأمرك، فدخل الحسن ثم خرج، فقال لأبيه: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: لا حاجة لي في قتال وإهراق الدماء. قال: فنزع "عليٌ" عمامة سوداء، فرمى بها بين يدي الباب، وجعل ينادي:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[يوسف:٥٢] (١).

لله درك يا عثمان.. رحمة جامعة تغطي بعطائها المقسط جلائل الأحداث وصغارها، فللخادم منها حظه وحقه في أن ينعم براحة النوم، وإن أضنى الخليفة نفسه وشيخوخته في ظلمة الليل البهيم، ولقطرات الدم حظها وحقها في أن تنعم بالسلام والعافية، وإن كان بديل ذلك أن تزهق روح الخليفة الشيخ بيد معتد أثيم، وغادر زنيم، توغلت الرحمة في حياته وفي سلوكه، حتى اقتضته آخر الأمر حياته

(١) «التبصرة» (١/ ٤٣١).

نفسها، فجاد بها.

عباد الله: ويتجلى صموده رضي الله عنه وعلو همته في تطبيقه لما أخبر به النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عثمان إن الله مُقَمِّصُكَ قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني**»(١).

لله دره في محنته، محنة هبطت بها شراسة المتآمرين إلى السفح، وارتفع بها تسامح الخليفة إلى القمة. قال رسول الله ﷺ: «**إذا مشت أمتي المطيطاء، وخدمها أبناء الملوك: أبناء فارس والروم، سلط شرارها على خيارها**»(٢).

مؤامرة يتولاها ويَعُدُّ لها الناقمون على الإسلام كله الدين والدولة والأمة.

لقد سيطر على رُوع الخليفة واجب - وهو يرى المد المتآمر - بداله - يومئذ - أنه أهم الواجبات وأقدسها، ذلكم هو المحافظة الكاملة على هيبة الدولة وسلطانها. فهذه الفتنة المخربة، والتمرد الآبق، يهدفان إلى هدم كيانها ودحر قيمها، واعتصام الدولة بكبريائها وسلطانها، يصبح واجبها الأول ومسئوليتها المقدسة. لقد وعى خليفتنا عهد رسول الله إليه ببصر ثاقب، وحمل مسئولية بعزم مجيد. من شاء أن يبصر علو الهمة في الاستمساك في أجل وأروع وأبهى صورة، لا للفوضى، حتى ولو كان فيها قتله، تواتيه فرصة قتال الثوار وقتلهم، فيرفضها، ومع هذا حين أخرج الثوار ورقتهم الأخيرة، ورفعوا عقائرهم في جُرأة ضارية: إما اعتزال عثمان، وإما قتله في ثبات مُذهل يرفض الخليفة أن يعتزل.

أيمكن لرجل جاوز الثمانين أن يستبد به طموح المنصب ومجده وجاهه، والأخطار والمهالك على هذا النحو المزلزل الرهيب.

لقد رفض عثمان رضي الله عنه أن يعتزل؛ لأنه رجل مسئوليات من طراز فريد. وهذا

---

(١) صحيح أخرجه أحمد، والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٤٧).
(٢) صحيح أخرجه الترمذي عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠١).

الخلق كان مخبوءًا تحت ستار تواضعه وحيائه، وما كنا سنراه متألقا كالشمس في رابعة النهار إلا في أزمة كهذه، وموقف كهذا الموقف الزاخر العظيم، أفيرضخ ويسلِّم مصاير الإسلام، وكرامة الدولة، لعصابة مفتونة؟ لا، وألف لا.

قال له ابن عمر: «لا تَسُنَّ هذه السُّنَّة في الإسلام، ولا تخلع قميصاً ألبسكهُ الله».

منعوه روَّاده، ومنعوه الماء، الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.. سبحان الله! ما أعلى هذه الهمة، صبر على حقن الدماء ولو سالت دماؤه، وحفاظ على هيبة الدولة ولو ذُبح.

حاصروه أربعين يوماً، وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب سبعمائة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أُقسِمُ على من لي عليه حق، أن يَكُفَّ يده، وأن ينطلق إلى منزله. وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حُرٌّ.

عن نافع عن ابن عمر، أن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدِّث الناس، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: «يا عثمان، أفطر عندنا»، فأصبح صائمًا وقتل من يومه[1]، واستسلم عثمان لأمر الله رجاء موعوده، وشوقًا إلى رسوله ﷺ، ليكون خير ابني آدم: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المائدة:٢٩].

كان عثمان أكثر الناس يقينًا بصدق رؤياه، سينطلق في عرسه العظيم إلى رحاب الله وجوار محمد ﷺ ورحلة الخلود.

ولما أصابوا كفه، قال: والله إنها لأول يد خطَّت المفصل وكتبت آي القرآن وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة:١٣٧].

لقد كان همه ألا تسقط راية الخلافة من يمينه، وألا يَلْقَى الله - حتى يلقاه- وعلى يديه قطرة واحدةً من دماء مسلمة. وحين تمدد جثمانه الطهور، كان كتاب الله لصيقه وصديقه ومن أولى بذلك منه؟! وهو الذي وَحَّدَه وحفظه وافتداه[2].

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٩٠).
(٢) «صلح الأمة» د/ سيد حسين (٦/ ٦٤: ٦٦).

عباد الله: إن الله عز وجل - تكفل لأوليائه المؤمنين بالدفاع عنهم في حياتهم، بل وبعد موتهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[الحج:٣٨].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب..»[(١)]

وقد يسأل سائل ويقول: ولم لم يدافع الله عنه عند قتله؟! .

أقول: إن قتله هو أعظم دفاع عنه، فقد رزقه الله الشهادة بذلك مصداقاً لقول النبي ﷺ الذي بشره بها. وها هي صورة مشرقة من دفاع الله عن عثمان رضي الله عنه بعد موته - هذا غير العذاب الذي سيلاقيه قاتلوه يوم القيامة عند ربهم.

عن أبي قلابة، قال: كنت في رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: يا ويلاه النار. قال: فقمت إليه، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكبًّا لوجهه، فسألته عن حاله فقال: إني كنت ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها، فقال: أي عثمان: مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك، وأدخلك النار، فأخذتني رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابني ما ترى، ولم يبق من دعائه إلا النار. قلت له: بعدًا لك وسحقًا[(٢)].

ورحل الشهيد عن دنيا الناس بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والتضحية والجهاد والعدل والسماحة والتواضع.

رحل بعد أن سالت دماؤه التي لطالما امتزجت بحب الله وحب رسوله ﷺ، سالت دماؤه الشريفة التي انصهرت مع كل آية من آيات القرآن الكريم. وها نحن بعد هذا الزمان الطويل نذكره ونذكر أعماله الجليلة، ولن ننساه أبداً ما دامت

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للطبري (٥٠٧) تحقيق/ حمزة النشرتي، وقال يزيد ابن حبيب: إن عامة الذين ساروا إلى عثمان جُنُّوا، أي أصيبوا بالجنون. قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٥٥٣): رواه الطبراني، أي أصيبوا بالجنون. وإسناده حسن.

أرواحنا في أجسادنا

فرضي الله عن عثمان وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم على سرر متقابلين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه يا أرحم الراحمين، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له سلطانًا على المسلمين، اللهم دمر الصليبيين وأعوانهم واجعلهم وما يملكون غنيمة للإسلام والمسلمين. وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الأولى عن الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ها نحن نفتح صفحة، أقصد صفحات مضيئة، بل ومليئة بالزهد والورع والخشية والتضحية والجهاد بالنفس والنفيس في سبيل الله جل وعلا.

إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

إنه البطل، بل حيدرة الأبطال الذي عاش لله بقلبه وجوارحه.

إنه التقي الذي تربى في حقل الإسلام وسقي بماء الوحي، فكان زهرة يانعة

طاب ريحها وملأ أرجاء الكون كله، وما زلنا نشم عطر سيرته حتى يومنا هذا، وسيظل هذا العبير ينشر عطره عبر العصور والأزمان على أرجاء الكون ليعلم الكون كله كيف استطاع الحبيب ﷺ أن يربي أصحابه ليكونوا نجوماً في سماء الدنيا تضيء للناس طريقهم إلى الله.

وكيف لا؟! وهو الذي رباه الخالق - جل جلاله - ليربي به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان، إنه وهو في السادسة من عمره بدأ يعيش مع محمد الصادق الأمين، يتأدب على يديه، ويتأثر بطهره، وعظمة نفسه، وتقى ضميره وسلوكه، وحين بلغ العاشرة. كان الرسول قد أُمِرَ بالدعوة، وكان هو سابق المسلمين!!.

وسارت حياته من ذلك اليوم إلى أن يجيء اليوم الذي سيلقى فيه ربه، تطبيقًا كاملاً وأمينا لمنهج الرسول وتعاليم القرآن.

ألا بوركت هذه الحياة!!.

حياة لم تكن لها صَبْوَة. ولا شهوة، ولا هفوة!!.

حياة ولد صاحبها، وتبعات الرجال فوق كاهله!!.

حتى لهوُ الأطفال لم يكن لحياة "علي بن أبي طالب رضي الله عنه" فيه حظ ولا نصيب.. فلا مزامير البادية، ولا أغاني السُّمار، شبع منها سمع الطفل، ووجدان الشباب.

لكَأَنَّ المقادير كانت تدخر سمعه ووجدانه، لكلمات أخرى ستغير وجه الأرض، ووجه الحياة..!! أجل، لقد ادُّخِرَ سمع الفتى وقلبه، ليتلقى بهما كما لم يتلقَّ أحد مثله آيات الله العلي الكبير، لقد كان يسمع القرآن غَضًا طريًّا من فم الصادق المصدوق ﷺ.

ولك أن تتصور أيها الأخ الكريم نفسك وأنت تسمع القرآن من فم من أنزل عليه القرآن ﷺ. وفي نور هذه الآيات المُنزَّلة، والتي كان الوحي يجيء بها تباعاً، قضى « علي بن أبي طالب رضي الله عنه » بواكير حياته النضرة يبهره نورها، ويهزه هديرها،

يسمع آية الجنة يتلوها الرسول، فكأنما الغلام الرشيد يراها رأي العين، حتى ليكاد يبسط يمينه؛ ليقطف من مباهجها وأعنابها.!

ويسمع آية النار، فيرتعد كالعصفور دهمه إعصار، ولولا جلال الصلاة وحرمتها لولى هارباً من لفح النار الذي يحسه ويراه.![1].

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة،وخرج معه عليّ بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عَثَرَ عليهما يوماً وهما يُصَلِّيان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: «أي عمِّ. هذا دين الله، ودين ملائكته ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم» أو كما قال ﷺ: «بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أي عمِّ ، أحق من بذلت له النصيحة. ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» فقال أبو طالب: أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يُخْلَصُ إليك بشيء تكرهه ما بقيت[2].

وذكروا أنه قال لعلي: أي بُنَيَّ ، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدَّقته بما جاء به، وصليت معه لله، واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمهُ[3].

ولما كانت حياته في بيت النبي ﷺ فإنه عرف جميع أموره الداخلية، ودرس أحواله وأخلاقه عن قرب وشرب من مشربه، وتربى على أخلاقه ﷺ وعاداته، وتصرفاته، فلبس ثياب الطهر في صغره، وبَعُدَ عن الأصنام وناصبها العداء من بداية أمره، وشُغل بأمر النبي ﷺ طيلة حياته؛ لأنه كان دائم القرب منه، والصلة

(١) «خلفاء الرسول» خالد محمد خالد (٤٧٣: ٤٧٤) بتصرف.
(٢)لا يخلص إليك: أي لا يصل إليك.
(٣) «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

به، والعمل على راحته وخدمته، والاستضاءة بنوره، والشرب من منهله أكثر من غيره. وكان مع ذلك قد أوتي ذاكرة واعية، وعقلًا متفتحًا، وذكاءً نادرًا، وشجاعة فذة، وقوة لا مثيل لها عند غيره.

وكان قد اعتاد أن يحيا حياة النبي ﷺ في زهده وتقشفه وورعه وخوفه من الله، وصلابته في الحق، وثباته عليه، والدعوة إليه.

وكان عنده من عمر رضي الله عنه عزمه وحزمه، وشدته في الله وصلابته، وسرعة بَتِّه في الأمور وانقضاضه على الباطل وأهله في غير مهادنة أو مداهنة.

ولم يكن علي رضي الله عنه يعرف مجاملة الناس في سبيل نصرة الحق وإزهاق الباطل، وليس عنده استعداد أن يدير سياسة الرعية حسبما تقتضي أحوال السياسة بعيدًا عن أصول الدين وفروعه وما كان عليه رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده[1].

عباد الله: وها هي باقة عطرة من مناقبه رضي الله عنه والأوسمة التي وضعها الحبيب ﷺ على صدره، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: **«إهدأ فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ»**.[2]

وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، إنك تبعثني إلى قوم هم أسنُّ مني لأقضيَ بينهم، قال: اذهبْ فإن الله تعالى سيثبت لسانك ويهدي قلبك[3].

وقال ﷺ: **«أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في**

---

(١) «الخلفاء الراشدون» للشيخ/ حسن أيوب (ص٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٣) رواه أحمد (١/ ٨٨) والنسائي في الخصائص(٣٥)، وقال العدوي:وهو صحيح بمجموع طرقه.

الجنة»[١].

وعن حبشي بن جنادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[٢].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكفرة والمشركين والمنافقين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: ما زال حديثنا في مناقب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن عليّ رضي الله عنه قال: لما توفي أبو طالب أتيت النبي ﷺ فقلت: إن عمك الشيخ قد مات: «**اذهب فواره ثم لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني**» قال: فواريته ثم أتيته قال: «**اذهب فواره ثم لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني**» قال: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها، قال: وكان علي رضي الله عنه إذا غسل ميتًا اغتسل[٣].

وعن ذر قال: قال علي: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي: «**أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**»[٤].

---

(١) رواه أحمد، والضياء عن سعيد بن زيد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦٥)،والترمذي (٣٧١٩)،وحسنه الألباني في«صحيح الجامع» (٤٠٩١).
(٣) رواه أحمد (١/ ١٠٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٣٥)، وقال العدوي: وهو حسن.
(٤) أخرجه مسلم (٧٨)، والترمذي (٣٧٣٦).

وعن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ بسبي فانطلقت لتطلب منه من يخدمها من السبايا فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال: «**على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعًا وثلاثين وتسبحان ثلاثًا وثلاثين وتحمدان ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من خادم**»[(١)].

وعن مصعب بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليًّ فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون إلا أنه ليس نبي بعدي**»[(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كنت جالسًا في المسجد أنا ورجلين معي فنلنا من علي فأقبل رسول الله ﷺ غضبان يُعْرَف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه، فقال: «**ما لكم وما لي؟ من آذى عليًا فقد آذاني**»[(٣)].

وعن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكة لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله، قال: فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي رضي الله عنه: إلحقه فَرُدَّ عليّ أبا بكر وبَلِّغْها أنت، قال: ففعل قال: فلما قدم على النبي ﷺ أبو بكر بكى. قال: يا رسول الله حدث فيَّ شيء؟ قال: ما حدث فيك إلا خير، ولكن أُمِرْتُ أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل مني[(٤)].

وعن البراء رضي الله عنه قال: لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يَدَعُوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٣) رواه أبو يعلى (٢/ ١٠٩)، وأحمد (١٠٧٨) وهو حسن.
(٤) رواه أحمد (١/ ٣) وهو صحيح بمجموع طرقه.

ما قاضى عليه محمد رسول الله، قالوا: لا نقرُّ لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال علي: لا والله لا أمحوك أبدًا فأخذ رسول الله الكتاب - وليس يحسن يَكْتُبُ - فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله لا يدخُلُ مكة السلاح إلا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً إن أراد أن يقيم بها فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا عليًا فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا، فقد مضى الأجل. فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم. فتناولها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمك وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعليّ: «أنت مني وأنا منك»، وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[1].

عباد الله: وقد نال علي رضي الله عنه ثلاث مناقب أغلى من الدنيا وما فيها.

عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرت ثلاثًا قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحبَ إليّ من حُمُر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له: خَلَّفَهُ في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله، خَلَّفْتَنِي مع النساء والصبيان؟، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي**»، وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» قال: فتطاولنا لها، فقال: «**ادعوا لي عليًا**» فأُتيَ به أرمد فبصق على عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[آل عمران:٦١]. دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال:

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣) وهو صحيح بمجموع طرقه.

«اللهم هؤلاء أهلي»[1]

محمد النبي أخي وصهري ∴ وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسي ويضحي ∴ يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وزوجي ∴ منوطٌ لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ∴ فأيكم له سهم كسهمي

وعند النسائي في «الخصائص» عقب حديث (٥٢) زيادة فوالله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة وإسنادها صحيح وفيها شدة تورع معاوية وتوقفه عند حديث رسول الله ﷺ.

ومن مواقف علي رضي الله عنه الشجاعة نومه على فراش النبي ﷺ ليفديه، فأسعد الله فراشه بفاطمة لترضيه.

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» اجتماع شياطين قريش في دار الندوة في يوم الزحمة، وحكى ما كان بينهم وبين إبليس الذي تبدى لهم في صورة الشيخ النجدي، واستقر رأيهم على ما قال أبو جهل بن هشام. أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل رسول الله ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم، قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي،

---

(١) أخرجه مسلم في طريق حديث (٢٤٠٤).

وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه إنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم» وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذ ينام.

ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:١- ٩].

ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدًا. قال: خيبكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يدًا على رأسه،فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون عليًّا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله، إنَّ هذا لمحمد نائمًا على برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش، فقالوا: والله، لقد صدقنا الذي كان حدثنا.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين،واخذل الكفرة والمشركين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين ويسر لهم، فيسر أمره ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وقوموا إلى صلاتكم.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب س المسمى حيدرة قال: رضي الله عنه :

أنـا الـذي سمتني أمـي حيدرة .·. كليث غـابـات كـريـه المنظرة

لقد حمى حيدرة الدعوة في شخص نبيها ﷺ ونام في فراشه في أصعب ليلة مرت بها الدعوة، رجل ينام في الفراش وهو يعلم أن على الباب رجالاً لا يريدون إلا رأس النائم على الفراش، فلما قلق به الفراش ليلة من أجل نبيه، أسعد الله فراشه بفاطمة بنت نبيه صلى ﷺ التي تجلببت في جلباب كمالها.وأعطاه الرسول

ﷺ الأهل والمرحب، وأصدقه درعه الحطميَّة، فأهديت إليه ومعها خميلة ومرفقة من أدم -جلد- حشوها ليف، وقربه ومنخل وقدح ورحى وجرابان. ودخلت عليه ومالها فراش غير جلد كبش ينامان عليه بالليل وتعلف عليه الناضح بالنهار، وكانت هي خادمة نفسها.

تالله، ما ضرها ذلك.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال لها: «**ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين**».

وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان**» ونعم الجزاء[1].

عباد الله: أما جهاده رضي الله عنه فها هو يسطِّر على جبين التاريخ بسطور من النور صفحات مشرقة من جهاده في سبيل الله تعالى فهو يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها اشتياق من يبحث عن الماء البارد في صحراء موحشة.

وفي غزوة بدر خرج الفارس المغوار مجاهداً في سبيل الله.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر ثلاثة على بعير.. كان أبو لبابة وعلي ابن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ - دوره في المشي - قال: فقالا: نحن نمشي عنك فقال: «**ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**»[2].

وفي أرض الشرف والجهاد حيث تصمت الألسنة وتنطق السيوف فوق هامات

---

(١) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٨).
(٢) رواه أحمد (١/ ٤١١)، والطيالسي (٣٥٤) وإسناده حسن.

الرؤوس.. كان لبطلنا هذا الموقف العظيم.

عن علي رضي الله عنه قال: تقدم - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار فقال: من أنتم؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا فقال رسول الله ﷺ: «قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزةُ إلى عُتبه وأقبلت إلى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة[1].

وعن قيس بن عباد عن علي بين أبي طالب رضي الله عنه قال: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة» وقال قيس بن عباد وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[الحج:١٩] قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر.. حمزة وعلي وعبيدة - وأبو عبيدة بن الحارث - وشيبة بن ربيعة،وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة»[2].

وفي غزوة الخندق كان له هذا الموقف العظيم مع فارس قريش (عمرو بن عبدو).

كان عمرو بن عبدود العامري «كبش الكتيبة» فقد حضر معركة بدر الكبرى، وذاق مرارة الهزيمة بعد أن جرح في المعركة، فنذر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمدًا، ولهذا كان أول الفرسان المقتحمين بخيلهم الخندق نحو المسلمين، ومعه فوارس من قريش، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق - تسرع - نحوهم.

قال ابن إسحاق: «كان عمرو بن عبدود العامري (وهو كبش الكتيبة) قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب فقال: أنا

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٦٥)، وأحمد (١/ ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٥) وعزاه المزي في «الأطراف» للنسائي.

لها يا نبي الله. فقال: «إنه عمرو، اجلس» ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلا، ألا تبرزون إلى رجلاً؟!

فقام علي فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء ∴ لجمعهم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجَّعُ ∴ موقف القرن المناجز

ولذاك إني لم أزل ∴ متسرعًا قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ∴ والجود من خير الغرائز

قال: فقام علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أنا فقال: «إنه عمرو» فقال: وإن كان عمرًا. فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه، حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك ∴ مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيَّةٍ وبصيرةٍ ∴ والصدق منجي كل فائز

إنِّي لَأَرجوا أن أقيـ ∴ ـم عَليك نائحةَ الجنائزْ

من ضربة نجلاء يبـ ∴ ـقى ذكرها عند الهزاهز

نجلاء: واسعة – الهزاهز: الحروب والشداد.

ولما مشى علي إلى عمرو ليبارزه قال له: يا عمرو، إنك كنت تقول: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها. قال له: أجل. فقال له: إني أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتُسْلِمَ لرب العالمين، فقال عمرو: يا ابن

أخي، أخر عني هذه. قال علي: وأخرى: ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد رسول الله صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. فقال عمرو: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً. كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت؟! ثم قال عمرو: فالثالثة، ما هي؟ فقال علي البراز. فضحك فارس قريش عمرو - وكان فارسًا مشهورًا معمرا قد جاوز الثمانين - ثم قال لعلي: إن هذه الخصلة ما كنت أظن أحدًا من العرب يروعني بها. ثم قال لعلي: من أنت؟ قال له: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ فقال علي: أنا علي بن أبي طالب. فقال عمرو: يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فوالله ما أحب أن أقتلك. فقال علي: ولكني - والله - أحب أن أقتلك. فعند ذلك غضب عمرو غضباً شديدًا، ونزل فسل سيفه، كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبًا، واستقبله علي بدَرَقَته فضربه عمرو في بدَرَقَته فقدَّها، وأثبت السيف فيها، واصاب رأسه فشجعه، وضرب (علي) على حبل عاقته فسقط، وثار العجاج، وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف الناس أن عليًّا قد قتل عمراً، فثم يقول علي:

أعـلـيٌّ تقتحم الـفـوارسَ هكذا ∴ عـنّـي وعنهم أخّـروا أصحابي

الـيـوم يمنعني الـفـرارَ حفيظتي ∴ ومُـصَـمَّـم في الـرأس ليس بنابي

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلا استلبت درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها. فقال: ضربته فاتقاني بسوءتِه ما فاستحييت - ابن عمي - أن أسلبه - وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ، يشترون جيفته بعشرة آلاف. فقال: «ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدِّية» فلم يقبل منهم شيئا.[1].

قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) «البداية والنهاية» ابن كثير(٤/ ١٠٦).

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من الكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: ما زال حديثنا عن جهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فها هو رضي الله عنه في يوم خيبر يشهد له النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ﷺ وبأن الله سيفتح على يديه.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فبات الناس ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام. واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمر النعم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه» قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فأعطاه إياها. وقال: «أمش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك». فسار (علي) شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٥).

وعن أبي سعيد الخدري، قال: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزها، ثم قال: «من يأخذها بحقها؟» فجاء فلان فقال: أنا. قال: أمط. ثم جاء رجل فقال: أمط. ثم قال النبي ﷺ: «والذي كرم وجه محمد، لأعطينها رجلًا لا يفر، هاك يا علي» فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفَدَك، وجاء بعجوتها وقديدهما[1].

وفي حدث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه عند مسلم: «ثم أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله». قال: فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية. وخرج «مرحب» فقال:

قد علمتْ خيبر أني مرحَبَ ∴ شاكي السلاح بطل مُجَرَّبُ

إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ

فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمَّتْني أُمِّي حيدرة ∴ كليثِ غاباتٍ كريهِ المنْظَرهْ

أو فيهم بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال: فضرب رأس «مرحب» فقتله وكان الفتح على يديه[2].

مرحب هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوباً على سيفه بالعبرية:

هذا سيْفُ مَرْحَبْ ... من يَذُقْهُ يعطبْ

---

(١) رواه أحمد(٣/ ١٦)، وفي فضائل الصحابة (٩٨٧) وإسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

فضربه علي فقد الحجر والمغفر ورأسه، ووقع السيف في الأضراس.

وقبله قتل (علي رضي الله عنه) أخا مرحب، وهو الحارث، وبارز علي قائداً يهودياً بعد مبارزة الزبير لياسر.

وكان هذا القائد الفارس يسمى عامر، فقتله علي أمام الحصن، قال رسول الله ﷺ حين طلع عامراً: «ترونه خمسة أذرع؟» وكان طويلاً جسيماً، فلما دعا للبراز، وخطر بسيفه وعليه درعان، مقنع في الحديد يصيح من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، فبرز إليه (عليّ فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئا، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذَفَّفَ عليه فأخذ سلاحه)[1].

وفتح الله على يديه حصن (ناعم) وهو من أقوى حصون خيبر.

فيا لها من صفحات مشرقة لا ننساها أبداً ما دامت أرواحنا في أبداننا.

وعاش رضي الله عنه ملازما للحبيب ﷺ يقتبس من علمه وزهده وأخلاقه الرفيعة إلى أن توفي الحبيب ﷺ وحزن عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه. فلقد فقد حبيبه ورسوله الذي لطالما احتضنه وأغدق عليه الكثير والكثير من رحمته وعطفه وعلمه، بل وأعطاه قرة عينه وثمرة فؤاده (فاطمة) رضي الله عنها.

وبعد وفاة النبي ﷺ ظل (علي) ملازمًا لخليفته الراشدي (أبي بكر) رضي الله عنه وكان أبوبكر يعرف قدره ومنزلته ويشاوره في عظائم الأمور، ولطالما كان يسعى إليه ويقول: (أفتنا يا أبا الحسن).

ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه وأصبح عمر رضي الله عنه أميرًا للمؤمنين. كان يعرف أيضًا (لعلي) قدره ومنزلته، وطالما كان يستنجد بفقهه وبذكائه وبصيرته وقول: «لولا عليّ لهلك عمر» ولما قتل (عمر) شهيدًا وتولى عثمان شئون الأمة المسلمة وأصبح أميرًا للمؤمنين كان يستشير علياً، ويستنصحه ويستعين به إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه

(١) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» - خيبر - لمحمد أحمد بشاميل (ص١٢٢) ذفف: أجهز عليه.

وفتحت أبواب الفتن على مصراعيها وتولى (عليّ) الخلافة على الرغم من أنه كان لا يريدها بحال من الأحوال.

وحدثت الفتنة بينه وبين معاوية رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: إن ما كان بين معاوية وبين علي بعد مقتل عثمان.. على سبيل الاجتهاد والرأي فجرى بينهما قتال عظيم، وكان الحق والصواب مع علي ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين[1].

وأما الحديث عن هذا الخليفة الراشد، وهمته العالية فإن حياة أبي السبطين وأبي تراب علي بن أبي طالب تتفجر عظمة وجلالًا وإعجازًا، فمن عظمة نفسه وعلو همته، تنداح رحاب ليس لها أبعاد، تتلألأ عليها بطولات وتضحيات، عظائم وأمجاد، تكاد تحسبها - لولا صدق التاريخ - أحلامًا وأساطير.. مسلم عظيم يفجر الدنيا من حواليه ذمة، واستقامة،وطهرًا، وذرىً سامقة وغايات بعيدة. عظمة لن تكُفّ عن توكيد ذاتها ما دام صاحبها حيًّا، يمارس العظائم ويصوغ المكرمات.

يقول ضرار بن ضمرة الكناني في وصف علي: كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، يتوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا، يا دنيا، إليّ تعرضت، أم إليّ تشوقت؟ هيهات هيهات غري غيري، قد أبنتك - طلقتك - ثلاثًا لا رجعة فيها!! فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر، ووحشة الطريق.

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٦٢٦).

اللهم ألحقنا بالصالحين واجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل الدين، اللهم عليك باليهود وأعوانهم من المشركين والمنافقين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم وحد صفوف المسلمين وول أمورهم خيارهم ، ولا توليها شرارهم يا أرحم الراحمين وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لـه ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثالثة عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسنبدأ الحديث بإذن الله عن زهده في الدنيا، لقد كان علي رضي الله عنه يخرج كل ما كان في بيت المال لمستحقيه، حتى إذا فرغ بيت المال، يأمر الإمام أن تُنْضَح أرضُه ويُغْسَلَ بالماء، حتى إذا تمَّ ذلك، قام فصلى فوق أرضه المغسولة ركعتين!! .

كانت هذه الصلاة في بيت المال، بعد أن نضح أرضه بالماء، رمز لمعنى جليل، كان إيذاناً بعهد جديد، تسيطر فيه الآخرة على الدنيا، ويسترد الورع والتقى نفوذهما

على الدولة، وعلى المجتمع، وعلى الأنفس والأفئدة جميعًا.

دعي لينزل قصر الإمارة قصر كبير ترتفع هامته في شموخ وفتنة، فلا يكاد يبصره حتى يولي مدبرًا وهو يقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا.

ويرتدي جلبابًا اشتراه من السوق بثلاثة دراهم، ويركب حمارًا ويقول: دعوني أهن الدنيا.

يجد عصرنا هذا في نهجه وحكمه أستاذًا ومعلمًا وهاديًا، يُعَلِّم الحكام في كل جيل وعصر أن الولاء للحق يعني رفض إغراء الدنيا، ورفض غرور السلطان.

قال الإمام أحمد بن حنبل: إن عليًّا ما زانته الخلافة ولكن هو زانها.

لقد كانت هوايته الكبرى إهانة الدنيا وإذلال مغرياتها الهائلة، بأن يرفع في وجهها يدًا لا تهتز ولا تختلج، تقول لتلك المغريات: لا.

قال سفيان الثوري: ما بنى عليّ لبنة، ولا قصبة على لبنة، وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب.

وكان رضي الله عنه معه درة له عصا يمشي بها في الأسواق، ويأمر الناس بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم.

وخرج ذات يوم وعليه بردان، متزر بأحدهما، مرتد بالآخر قد أرخى جانب إزاره ورفع جانبا، وقال: إنما ألبس هذين الثوبين ليكونا أبعد لي من الزهو،وخيرًا لي في صلاتي، وسُنَّة للمؤمن.

قال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب.

وقال الحسن: رحم الله عليًّا، إن عليًّا كان سهمًا لله صائبًا في أعدائه، وكان في محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ، وكان رهباني هذه الأمة، لم يكن لمال الله بالسروقة، ولا في أمر الله بالنومة، أعطى القرآن عزائمه وعمله، وعلمه، فكان منه

في رياض مونقة، وأعلام بيِّنة، ذاك علي بن أبي طالب[١].

ومن مناقب علي ﷺ : العدل وها هي صفحات مشرقة من عدله ﷺ، عن أبي الحسن: يقول فصلًا، ويحكم عدلًا، كانت حظوظه مع نفسه في طهرها وعدلها وتقاها رابية ووافية، وكان عدله سامقًا يبقى على مر الزمان منارًا لذوي الرشد والنهى، وكان ولاؤه للعدل ولاء مطبوعًا. ولاء فطرة وولاء يقين.

يقول ﷺ : أأقنع من نفسي أن يقال: أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين في مكاره الزمان؟ والله لو شئت لكان لي من صفو هذا العسل، ولباب هذا البر، ومناعم هذه الثياب ولكن هيهات أن يغلبني الهوى، فأبيت مبطانًا وحولي بطون غرثى وأكباد حرَّى.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ على المنبر في يوم الجمعة: أيها الرعاء، إن لرعيتكم حقوقاً: الحكم بالعدل، والقسم بالسوية، وما من حسنة أحب إلى الله من حكم إمام عادل[٢].

وعن العلاء بن عمار أن عليًا ﷺ خطب الناس فقال: أيها الناس.. والذي لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلًا ولا كثيرا إلا هذه – وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طِيب – فقال: أهداها إلي الدهقان [٣] ثم أتى بيت المال فقال: خذوا، ثم أنشأ يقول[٤]:

أفلح من كانت له قوصرة [٥] .·. يأكل منها كل يوم مرة

وعن عبد الله بن زرير – رحمه الله – قال: دخلت على علي ﷺ يوم الأضحى،

---

(١) «صلاح الأمة» د/ سيد حسين (٦/ ٦٧:٧٠).

(٢) ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ٢٨٤).

(٣) الدهقان: زعيم فلاحي العجم.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وابن كثير في «البداية»(٨/ ٣).

(٥)القوصرة : وعاء التمر .

فقرب إلينا خزيرة[١]، فقلنا: أصلحك الله، لو أطعمتنا من هذا البط، فإن الله قد أكثر الخير، فقال: يا ابن زرير، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصعة يطعمها بين الناس**»[٢].

هكذا النقي الورع مع العدل، وما أروع علي وهو يتورع عن الأخذ من مال الأمة شيئا زهيداً، قال عنترة بن عبد الرحمن الشيباني: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق، وعليه قطيفة، وهو يرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك، ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال، وأنت ترعد من البرد؟! فقال: إني والله لا أرزأ من مالكم شيئا، وهذه القطيفة هي التي خرجت بها من بيتي، أو قال من المدينة[٣].

ومن عدالته: ما رواه علي بن ربيعة الوالي، قال: إن علي بن أبي طالب قد جاءه ابن النباج، فقال: يا أمير المؤمنين، امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء، وبيضاء - ذهب وفضة - فقال: الله أكبر!! فقام متوكئًا على بن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: هذا جناي وخياره فيه، وكل جان يده إلى فيه. يا ابن النباج، علي بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين، وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء، غري غيري، ها، وها.

حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمره بنضحه، وصلى فيه ركعتين[٤].

وعن عليّ بن الأرقم، عن أبيه قال: رأيت عليًّا، وهو يبيع سيفًا له في السوق، ويقول: من يشتري مني هذا السيف، فو الذي فلق الحبة لطالما كشفت به عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[٥].

---

(١) الخزيرة: قيل الحساء من سمن ودقيق، نوع من الطعام

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد(١/ ٧٨).

(٣) صحيح: أخرجه ابن الجوزي في «صفة الصفوة».

(٤) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية».

(٥) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٣).

وكان رضي الله عنه يمشي في أسواق الكوفة وهو خليفة المسلمين، فيرشد الضال ويعين الضعيف.

ويلتقي بالشيخ المسن الكهل، فيحمل عنه حاجته، ولا يسكن قصر الإمارة ويقول: قصر الخبال هذا، لا أسكنه أبدًا، وحين نتكلم عن أمير المؤمنين رضي الله عنه فإننا نؤرخ للعظمة الإنسانية والعدل في نموذجه الباهر، هو الذي علم الأمة، فقال أهل القبلة: ولله دره حين يقول لعسكره: لا تقتلوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقربوا النساء بأذى وإن شتمنكم وشتمن أمراءكم وصلحاءكم، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ، لله در أبي الأسود الدؤلي حيث يقول في علي رضي الله عنه :

يقيم الحق لا يرتاب فيه ∴ ويعدل في العِدى والأقربينا

ونفساً لم تذق طعم الدنايا ∴ ولا لذَّت من الدنيا طعاماً

غذاها الدين مذ كانت فشبت ∴ على التقوى رضاعاً وانفطاما

ونشأها على كرم وأيد ∴ وصاغ من الجلال لها قواماً.

ذكت فسمت عن الدنيا طلاباً ∴ وأضنى حبها قوماً وتاماً.

طوى عنها على الضَّراء كشحاً ∴ وعاف نُصارها تبراً وساما

وأكبر همه مذ كان طفلاً ∴ حدود الله يحرص أن تُقاما

يذل لعزها نفساً ويرضى ∴ لدفع الضيم عنها أن يُضاما

إذا ما رنَّ صوت الحق منه ∴ تولى الإفك وانحطم انحطامًا

ولما طعن رضي الله عنه وهو يتهيأ للصلاة، بعد أن مر بشوارع الكوفة يوقظ أهلها لصلاة

الفجر، قال لبنيه بعد أن علم قاتله: أحسنوا نزله، وأكرموا مثواه، فإن أعش، فأنا أولى بدمه قصاصا أو عفوًا، وإن أمت، فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إن الله لا يحب المعتدين[1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين السائرين على منهاج سيد المرسلين الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أقضانا علي بن أبي طالب.

وعن ابن مسعود، قال: كنَّا نتحدث أنَّ أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب.

وعن علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيًا، فقلت: يا رسول الله، ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: «إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء» قال: فما زلت قاضيا، أو ما شككت في قضاء بعد[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع عمر يقول لعلي رضي الله عنهما - وقد سأله عن شيء فأجابه -: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن[3].

---

(١) نقلًا من «ترطيب الأفواه» د/ سيد حسين (١/ ١٤٨: ١٥١) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح الإسناد.

(٣) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ١٦٦) للمحب الطبري.

وأخرج أحمد في المناقب، عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، فوجد أربعة وقعوا في حفرة حفرت ليصطاد فيها الأسد، سقط أولًا رجل تعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر، فجرحهم الأسد. وماتوا من جراحته، فتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون، فقال علي: أنا أقضي بينكم، فإن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجزت بعضكم عن بعض حتى تأتوا رسول الله ﷺ ليقضي بينكم. اجمعوا من القبائل الذين حفروا البئر ربع الدية؛ وثلثها ونصفها ودية كاملة، فللأول ربع الدية، لأنه أهلك مَنْ فوقه، وللذي يليه ثلثها؛ لأنه أهلك من فوقه، وللثالث النصف؛ لأنه أهلك من فوقه، وللرابع الدية كاملة. فأبوا أن يرضوا، فأتوا رسول الله ﷺ، فلقوه عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: أنا أقضي بينكم واحتبى ببردةٍ، فقال رجل من القوم: إن عليا قضى بيننا. فلما قصوا عليه القصة، أجازه[1].

وأما الحديث عن جود علي وكرمه رضي الله عنه، فعن أبي جعفر، قال: ما مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى بلغت غلته مائة ألف، ولقد مات يوم مات وعليه سبعون ألفًا دينًا. فقلت: من أين كان عليه هذا الدين. قال: كان تأتيه حاجَّتَه من أصهاره ومعارفه، مِمَّن لا يرى لهم في الفيء نصيبًا، فيعطيهم، فلما قام الحسن بن علي باع وأخذ من حواشي ماله حتى قضى عنه ثم كان يُعْتِقُ عنه في كل عام خمسين نسمة حتى هلك، ثم كان الحسين يُعْتَق عنه خمسين نسمة حتى قتل، ثم لم يفعله أحد بعدها[2].

حبب الفقر إليه أنَّهُ ∴ سُؤْدَدٌ وهو بذاك الفقر يَغْنَي
وشريفُ القوم من بقى لهم ∴ شرف الذكر وخلى المال يَغْنَي
ما اطمأن الوفر في بَحْبُوحةٍ ∴ فرأيت المجد فيها مُطْمَئِناً
تُهْدَمُ الأموال من أساسها ∴ أبداً ما دامت العلياء تُبْنى

---

(١) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣/ ١٦٩) للمحب الطبري.
(٢) «مكارم الأخلاق» (ص١٠٦).

أما شكره لله فقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها[١].

وعن علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله عز وجل حتى ينقطع الشكر من العبد[٢].

أما تواضعه رضي الله عنه فعن عمرو بن قيس: أن عليًّا رضي الله عنه رئي عليه إزار مرقوع، فعوتب في لبوسه، فقال: يقتدى به المؤمن، ويخشع له القلب[٣].

أما أدبه رضي الله عنه، فعن صهيب مولى العباس، قال: رأيت عليًّا يقبل يد العباس ورجله، ويقول: يا عم ارض عني[٤].

وأما زهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب - أي ما غلظ -.

هذا الذي كان يقف وقد أرخى الليل سجوفه وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا أبي تعرضت؟! أم بي تشوقت؟!، هيهات غرِّي غيري، قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير،وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق.

عباد الله: وها هي باقة عطرة من كلماته التي ينبغي أن تنقش بالذهب على صفحات القلوب.

قال علي رضي الله عنه الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع

---

(١) «عدة الصابرين»(ص١٢٢).

(٢) «الشكر» لابن أبي الدنيا

(٣)إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة»، وابن سعد في «الطبقات».

(٤) قال الذهبي في «السير»(٢/ ٩٤) إسناده حسن.

كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان بها.

العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته وضيعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة.

وقال رضي الله عنه: احفظوا عنِّي خمسًا لو ركبتم الإبل في طلبهن ما أصبتموهن ولأنضبتم الإبل قبل أن تدركوهن:

لا يَرْجُوَنَّ عَبْدٌ إلا ربَّه، ولا يخفْ إلا ذنبه، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، ولا يستحي عالم إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

وقال رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل: فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ارتحلت مُدْبرة، ألا وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»[1]. اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم من ولي أمر المسلمين فيسر لهم فيسر أمره وأصلح شأنه، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فاشقق عليه ولا تجعل له في أرضك تمكينا. اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، اللهم عليك باليهود الغاصبين وسائر المشركين والمنافقين، اللهم جمد الدماء في عروقهم اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) «صفوة الصفوة» (١/ ١٣٠).

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الرابعة عن الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وما زال حديثنا عن شيء من أقواله النيرة ومواعظه البليغة، قال رضي الله عنه: كونوا ينابيع العلم، معادن الحكمة، مصابيح الليل، خلقان الثياب، جدد القلوب، تُعْرَفُون في أهل السماء، وتُخْفَوْنَ في أهل الأرض، وتُذْكَرُونَ عند ربكم.

ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنِّط الناسَ من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عباده لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدارك ذلك بتوبة. ورجل يسارع في الخيرات ويعمل في الدرجات.

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أن عليًا رضي الله عنه شيع جنازة، فلما وضعت في لحدها عج أهلها وبكوها، فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم، وإن له فيهم لعودة - يعني ملك الموت - حتى لا يبقى منهم أحدًا. ثم قام، فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقّتَ لكم الآجال، وجعل لكم أسماعا تعي ما عناها، وأبصارًا لتجلوا عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، إن الله لم يخلقكم عبثًا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ وارصد لكم الجزاء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب. وبادروا بالعمل قبل هادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عباد الله بالعبر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأنَّ قد علقتكم مخالب المنية، وضمنتم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياق المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الزُّمَر:٦٩] فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادى المنادي، وحشرت الوحوش، وبدت الأسرار، وارتجت الأفئدة، وبُرِّزَت الجحيم قد تأجج جحيمها وغلا حميمها.

عباد الله: اتقوا الله تقية من وجل وحذر وأبصر وازدجر فاحتث طلبًا ونجا هربًا، وقدَّم للمعاد واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً ونصيرًا وكفى بالكتاب

خصمًا وحجيجًا، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالًا وعقابًا، واستغفر الله لي ولكم[1].

ولقد كان علي رضي الله عنه حريصًا على نعمة الاتباع لنبيه محمدًا ﷺ فمن ذلك ما أخرجه البخاري عن مروان بن الحكم، قال: شهدت عليًّا وعثمان بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يجمع بينهما، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعًا، فقال: لبيك بحجة وعمرة معًا، فقال عثمان: تراني أنهى الناس عن شيء وأنت تفعله؟.

فقال: ما كنت لأدع سُنَّة رسول الله ﷺ لقول أحد من الناس.

وأخرج البيهقي بسند عن علي رضي الله عنه، قال: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخفين أحق بالمسح من ظاهرهما، ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما».

وهكذا يكون الاتباع للحبيب ﷺ الذي قال الله في حق من حاد عن هديه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

بل قد حث الله الأمة كلها على اتباع الحبيب ﷺ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١].

وكيف لا نتبع الحبيب ﷺ وهو الذي وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

عباد الله: وأما أخبار عليّ رضي الله عنه مع الدعوة إلى الله وتوفيق الله له، فعن البراء أنّ رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: كنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أني يقفل

(١) «صفة الصفوة»(١/ ١٣٢ - ١٣٣).

خالدًا، إلا رجلًا كان ممن مع خالد، فمن أحب أن يعقب مع علي، فليعقب معه، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع عليّ، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلى بنا عليّ، ثم صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعًا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه، فقال: «السلام على همدان السلام على همدان!»[1].

أما قتال عليّ رضي الله عنه للخوارج، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بعض بيوت نسائه. قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها عليّ يخصفها. فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله» فاستشرفنا، وفينا أبو بكر وعمر، فقال: «لا، ولكنه خاصِف النَّعْل» قال: فجئنا بنشره، قال: وكأنه قد سَمِعَهُ[2].

وهو الذي قاتل الخوارج وقتلوه، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**طوبى لمن قتلهم وقتلوه**»[3].

وقال ﷺ: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**» صحيح وقد ورد في الصحيح أيضا: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**».

وقال ﷺ: «**الخوارج كلاب النار**»[4].

وقال ﷺ: «**إن في قتلهم أجراً عظيما عند الله لمن قتلهم**»[5].

---

(١) أخرجه البيهقي، ورواه البخاري مختصرًا - كذا في «البداية»(٥/ ١٠٥).
(٢)رواه أحمد في«المسند» (٣/ ٨٢) وإسناده حسن.
(٣)إسناده حسن: رواه ابن أبي عاصم في«السُّنَّة» عن عبد الله بن أبي أوفى، وأخرجه أحمد.
(٤) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».
(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه، وأحمد، والترمذي عن ابن مسعود.

ولما خرجت الخوارج على عليّ رضي الله عنه وكانوا ثمانية آلاف من قراء الناس، ونزل بحروراء فناظرهم علي، فرجع منهم أربعة آلاف فيهم عبد الله بن الكواء، فبعث عليّ إلى الآخرين أن يرجعوا فأبوا، فأرسل إليهم، كونوا حيث شئتم، وبيننا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا، ولا تقطعوا سبيلًا ولا تظلموا أحداً، فإن فعلتم نبذتم إليكم الحرب.

قال عبد الله بن شداد: فوالله ما قتلهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم الحرام، وذلك بقتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت، وبقروا بطن سرِّيَّته[1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، والمذلة والخسران لأعداء الدين من المشركين والكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

عباد الله: ما زال حديثنا عن قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج، فعن سلمة بن كهيل، قال: حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذي كانوا مع عليّ رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال عليّ رضي الله عنه: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج ق م من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**» لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان

---

(١) نقلًا من «صلاح الأمة» د/ سيد حسين(٥/ ٩٢).

نبيهم ﷺ ولا تَكَلُوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض.

فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس فسيروا على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزَّلَني زيد بن وهب منزلاً حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبيّ فقال لهم: ألقوا الرماح وسُلُّوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان فقال لهم علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المخدج الرجل الذي وصفه لهم النبي ﷺ فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال صدق الله وبلغ رسوله قال: فقام إليه عبيدة السماني فقال يا أيمر المؤمنين! أالله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف[1].

وأما عن وقت رحيل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فعن أبي مجلز، قال: جاء رجل من مراد إلى علي وهو يصلي في المسجد، فقال: احترس فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك، فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر عليه، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّة حصينة[2].

أمَّا عن قصة قتله رضي الله عنه فلقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكير التميمي فتذاكروا أمر الناس وعابوا

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٧٤٨).

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٤ - ١٣٥).

بهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم لإخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب، وقال البراك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل مناعق صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتلَه أو يموت دونه فأخذوا سيوفهم فسموها - وضعوا عليها السم - واستعدوا لخمس عشرة تخلو من رمضان سنة (٤٠هـ) أن يثب كلٌ على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم على المصر - المكان - الذي فيه صاحبه.

فأما ابن ملجم وكان عداده في كنده، فخرج حتى أتى الكوفة، ولم يخبر من بها من إخوانه شيئا كراهة أن يظهر، وكان بالكوفة من يتم الرباب عشرة وفيهم امرأة يقال لها (قطام ابنة الشجنة) قتل علي أباها وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها أذهلته عما جاء له، فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي. قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة جارية مغنية وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو لك مهر، أما عليّ فلم أرك ذكرتيه لي وأنت تريدينني. قالت: بل ألتمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي وتهنأ بالعيش معي وإن قتلت فما عند الله خيرًا وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها، فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك ثم اختارت له مساعدًا من قومها واختار هو مساعداً آخر، ولما كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة (٤٠هـ) ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح، فضربه ابن ملجم في قرنه بسيف وهو ينادي: الحكم لله لا لك ولا لأصحابك، ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة[1].

ولقي الإمام ربه - أخيرًا - مصابًا بضربة سيف مسموم.. كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصابًا بضربة خنجر محموم! وحمل إلى داره رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) نقلًا من «الخلفاء الراشدين» للشيخ/ حسن أيوب(٣١٩ - ٣٢٠) بتصرف.

وإذ هو في لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات، هذه الصلاة التي كان يتهيأ لها حين حال الاغتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها، وحين يفرغون من صلاتهم، ويعودون إليه، كما يعود في نفس الوقت بعض الرجال ممسكين بالقاتل - عبد الرحمن بن ملجم - يفتح الإمام عينيه فتقعان عليه فيهز رأسه في أسىً حين يعرفه ويقول:

- أهو أنت..؟ لطالما أحسنت إليك..!!

ويلقي البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر غيظاً، وتضطرم نقمة، ويحس برد الموت يسري في أوصاله، ويكاد يرى المصير الذي سيحيق بـ ابن ملجم. يكاد يرى الانتقام المروِّع الذي سيثأر به أولاده، وأصحابه، فيتقدم هو في إصرار ليحمي قاتله من أية مجاوزة أو تخط لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة متقطعة لترسم في العظمة الإنسانية التي أفاءها القرآن على عليّ لوحة باهرة.

قال لبنيه وأهله: أحسنُوا نُزله.. وأكرموا مثواه. فإن أَعِشْ ، فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا ، وإن أمت، فألحقوه بي، أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه. إن الله لا يحب المعتدين[1].

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان.وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه. سنة أربعين، فبقي الجمعة والسَبت، ومات ليلة الأحد،وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن في السَّحَر[2].

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: يا أيها الناس، لقد فارقكم أمس رجلٌ ما سبقه

---

(١) «خلفاء الرسول» خالد محمد خالد (٥٩٨ - ٥٩٩) بتصرف.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ١٣٥).

الأولون ولا يدركه الآخرون، لقد كان رسول الله ﷺ يبعثه البعث، فيعطيه الراية، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره - يعني عليًّا - رضي الله عنه ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً[1].

وهكذا آب المسافر إلى وطنه، وعاد إلى منزله...!!

ورحل: ابن أبي طالب عن الدنيا، لكنّ حياته والأيام التي عاشها على الأرض تحولت إلى شمس أخذت مكانها العالي في حياة البشرية وتاريخا، وراحت تجذب إلى مدارها قيم الحق، والبطولة، والإيمان ، والخير، والشرف.

وهكذا رحل الإمام وما رحل.. وهو الراحل المقيم.

لقد فتح لذكره، ولذكراه أبواب الخلود حينما ترك لذوي الدنيا دنياهم، واختار الله ورسوله والدار الآخرة، ولقد احتوشته العواصف، والأعاصير، لكي تزيغه في ظلامها عن الطريق، أو تفقده بعض رشده، أو تشغله عن غاياته ومبادئه، فما زاغ عن الطريق[2].

فرضي الله عن عليّ وسائر الصحابة أجمعين .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُّ فيه أهل الطاعة، ويُذَل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنْهَى فيه عن المنكر يا جواد يا كريم، اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله اللهم من ولي أمر المسلمين فشق عليهم فاشقق عليه، ولا تجعل له تمكينا، ومن ولي أمر المسلمين ويسر لهم فأصلح شأنه وزده توفيقا وهداية وصلاحاً وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه ابن حبان، وأحمد، والبزار، وصححه الألباني في «الصحيحة»(٢٤٩٦).
(٢) «خلفاء الرسول»(ص٦٠١) باختصار يسير، فرضي الله عن علي وسائر الصحابة أجمعين.